الحروف الزائدة في اللغة العربية

- قراءة في آراء النحاة والبلاغيين -

Additional Adverbs in Arabic Language
-A Study in the Opinions of Grammarians and Rhetoricians-

صالح مرحباوي*

جامعة باتنة1 – الحاج لخضر – (الجزائر)

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة- جامعة باتنة1

salah.merahbaoui@univ-batna.dz

تاريخ الارسال: 2022/01/31	تاريخ التقييم:20-12-2022	تاريخ القبول: 30- 12- 2022

الملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة لغوية شائعة في التراكيب العربية البليغة القديمة على وجه الخصوص، هذه الظاهرة هي ما يعرف بالحروف الزائدة، وهي مجموعة من الحروف التي تستخدم في التراكيب ولكنها تبدو أنها غير أساسية فيها، لذلك وصفت بأنها زائدة، وقال النحاة أن زيادتها كان لغرض التوكيد وتقوية المعنى دو ن أن يؤثر وجودها أو عدمه في المعنى الأصلي أو في استقامة الكلام من الناحية النحوية، وقد كانت مثار جدل ومحل خلاف بين النحاة واللغويين والبلاغيين لهذا السبب ولوظيفتها أيضا،كل يرى فيها رأيه، ومما زاد في حدة هذه القضية واحتدام الخلاف فيها وُرُودُها في القرآن الكريم، حيث رفض كثير من العلماء هذا الوصف على أساس أن القرآن الكريم كلام الله المعجز، ومن ثمة فمن غير الصحيح القول بزيادتها؛ لذلك رأينا كثيرا من علماء العربية - ومن البلاغيين بشكل خاص -يبحثون في دلالاتها وأسرارها البلاغية متجاوزين الآراء النحوية بشأن هذه الحروف.

الكلمات المفتاحية: الحروف؛ الزيادة؛ اللغة العربية؛ النحو؛ البلاغة.

Abstract:

This research is about a common linguistic phenomenon in the eloquent Arabic structures which is additional adverbs. They are a group of words used in structures, in which they seem inessential, that is why they are described as additional. Grammarians see that their addition was for the purpose of emphasis and strength of the meaning without taking the effect of their presence or absence in the original meaning or the correctness of the speech grammatically. For this reason, a controversy was raised between grammarians, linguists and rhetoricians about them and their function. Moreover, what increased the intensity of this issue is their presence in the Holy Quran. Scholars refused such description, for the Holy Quran is Allah's miraculous word. Thus, it is incorrect saying that they are additional; so many scholars of Arabic language, and especially rhetoricians, search in their significance and secrets without taking into account grammatical opinions about them.

Keywords: adverbs; addition; Arabic language; grammar; rhetoric.

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة:

من القضايا اللغوية التي أثارت جدلا بين النحاة والبلاغين وعلماء اللغة عامة ما يعرف بالحروف الزائدة، وهي مجموعة من الحروف يتم استخدامها في الكلام دون أن يكون لهذا الاستخدام مسوغ نحوي تقول به قواعد اللغة العربية، حيث لاحظ النحاة أن وجودها في التركيب أو عدمه لا يؤدي إلى فساد الكلام، لذلك أطلقوا عليها وصفا بل أوصافا وهي أنها زائدة أو حَشْو أو لَغْو أو صِلَة، وقصدهم في ذلك أنها لا وظيفة نحوية لها، إنما دخولها في بعض التراكيب وفي سياقات معينة كان لغرض التوكيد وتقوية المعنى أو ما شابه ذلك، إلا أننا وجدنا من علماء العربية من يرفض هذه الأوصاف على أساس أنه من غير المنطق وجدود لفظة في عبارة دون معنى أو وظيفة؛لأن ذلك يتعارض ومنطق اللغة وحكمة المتكلم،

خاصة أن هذه الحروف وجدت في تراكيب قرآنية والقول بزيادتها يتنافى وبلاغة القرآن و إعجازه.

وعلى الرغم مما وقع من خلاف علمي بشأن هذه الحروف إلا أنها لم تُبحث بشكل مستقل،ولم يفرد لها مبحث أو باب من أبواب النحو أو البلاغة، وإنما كانت الآراء في هذا الموضوع مبثوثة ومتفرقة في ثنايا المباحث والمسائل النحوية والبلاغية.

وأهمية هذا الموضوع تكمن في البحث والتنقيب والتفتيش في الآراء المطروحة في هذا الشأن ومحاولة فهمها في سياقها الذي طرحت فيه، خاصة أن هذه الحروف لم تعالج من زاوية نحوية فقط، بل تعددت الزوايا في معالجتها وأبرزها الزاوية البلاغية والتفسيرية كذلك، فهذا البحث يهدف أيضا إلى ضرورة تقديم قراءة جديدة لها تحاول الكشف عن المزيد من وظائف هذه الحروف ودلالاتها، خاصة أن هذه الحروف قد خرجت عن وظيفتها النحوية الصرفة كما هو مألوف في العناصر اللغوية إلى وظائف بلاغية جمالية، وهذا ما تم إدراكه مبكرا، وبالتالي إلى إثراء هذا المجال بآراء الأمل معقود في أن تكون مفيدة في هذا السياق.

أما المنهج الذي اعْتُمِد في هذه الدراسة فهو وصفي تحليلي يعمد إلى وصف ظاهرة الحروف الزائدة، ثم تحليلها في ضوء النظريات النحوية والبلاغية والكشف عن وظيفتها ودلالاتها وأبعادها البلاغية. وبناء على ما تقدم فإن هذه الورقة تسعى إلى إعادة طرح هذا الموضوع ومحاولة الإجابة عن بعض الأسئلة التي تفرض نفسها في هذا السياق، وأبرزها:

مامدى صحة القول بزيادة هذه الحروف؟وما مراد النحاة من وصفهم هذه الحروف بالزائدة ؟ وماذا يعنيمصطلح الزيادة؟

وما الوظيفة التي يضعها النحاة لهذه الحروف؟

وما المعاني والدلالات التي يقول بها البلاغيون بشأن هذه الحروف؟

2- الحرف، تعريفه وعلاماته وأقسامه:

2-1- تعريف الحرف:

لكلمة الحرف لغةً معان عديدة أشهرها " حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدد"[1]و " طرف الشيء كحرف الجبل، وفي التنزيل ((ومن الناس من

يعبد الله على حرف))، أي على طرف وجانب من الدين، أي لا يدخل فيه على ثبات وتمكن"[2].

أما اصطلاحا؛ ففي العربية نوعان من الحروف: حروف مبان وحروف معان؛أما الأولى فهي ما يعرف بحروف المعجم، وهي التي تتشكل منها الكلمات، أما الثانية فهي حروف المعاني، وهي التي يكون لها معنى معين أو وظيفة بوجودها سياق معنى وذلك حين دخولها على الاسم أو الفعل من أمثلتها حروف الجر، وحروف العطف وغيرها، وهي القسم الثالث من أقسام الكلمة في اللغة العربية (الاسم والفعل والحرف)، وقد عرفها النحاة تعريفا يكاد يكون مجمعا عليه " الحرف ما دل على معنى في غيره"[3].

ويعرفه الزمخشري(ت583ه) أيضا التعريف نفسه، ثم يضيف: " ... ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه إلا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعلواقتصر فيها على الحرف وجرى مجرى النائب"[4]، لذلك فـ(حروف المعاني) ليس لها معانٍ مستقلة كالأسماء مثلا، وليس لها وظيفة خارج السياق؛ فلو أخذنا أي حرف من هذه الحروف فإننا لا نستطيع تصور معنى لها؛ فحرف (في)مثلا لا نتمكن من إدراك ما يدل عليه إلا بإلحاقه باسم، ولا نتمكن من إدراك وظيفته أيضا إلا بإدخاله في تركيب، لأن من وظائف الحروف أيضا الربط بين عناصر الجملة.

2.2- علامات الحرف:

ومن علامات الحرف - كما أكد النحاة - أنه لا يقبل شيئا من علامات الاسم والفعل، بمعنى أنه ليس له علامة لفظية أو شكلية معينة، ويمكن من خلال هذه العبارة وأيضا من تأمل حروف المعاني استخلاص بعض الخصائص التي تمكن من تمييز حرف المعاني عن غيره وهي:

- ليس لحروف المعاني معان مستقلة بخلاف الأفعال والأسماء التي تكون لها معاني معجمية حتى في حالة استقلالها وعدم دخولها في جملة؛ فمثلا ليس لحرف الجر (في) معنى معين إلا بدخوله على الاسم؛ففي عبارة (مكثت في الدار طويلا) معنى الحرف فيها هو الدخول في المكان وقد اكتسب هذا المعنى بدخوله على الاسم، وحرف (قد) لا يدل على شيء إلا إذا

دخل على الفعل (قد سافرت منذ زمن) فمعناه هنا هو التحقيق. وهكذا في سائر حروف المعاني.

- حروف المعاني كلها مبنية، بخلاف الأسماء والأفعال فيها المبني وفيها المعرب.

- الحروف لا يجوز أن يُخْبَر عنها ولا يجوز أن تكون خبرا فهي بخلاف الأسماء في هذه العلامة أو الخاصية.

- الحرف مع الحرف لا يؤلفان جملة مفيدة ولا مع الاسم أو الفعل، أو كما قال ابن السراج(316ه): " والحرف لا يأتلف منه مع الحرف كلام... ولا يأتلف من الحرف مع الفعل كلام ... ولا يأتلف من الحرف مع الاسم كلام"[5].

- الحروف لا تتصرف ولا يشتق نها ولا تثنى ولا تجمع.

هذه أبرز علامات الحرف وهي مستنتجة من مقارنتها بقسمي الكلمة الأخريين الأسماء والأفعال.

2-3- أقسام حروف المعاني:

أما عن تقسيم حروف المعاني، فقد قسمت إلى أقسام كثيرة بحسب الزاوية التي اعتمدت في ذلك، قسم بحسب عدد حروفها وهيئتها، وقسم بحسب نوع بنائها، وقسم بحسب اختصاصها، ووظيفتها وقسم بحسب عملها وهكذا...[6].

3- مفهوم الزيادة:

3-1- الزيادة لغة:

تعني النماء والتكاثر، وجاء في لسان العرب "الزيادة النمو، وكذلك الزُّوادة. والزياد خلاف النقصان. زاد الشيء يزيد زَيدا وزِيدا وزيادة وزيادا ومزيدا ومزادا أي ازاد ... وزدته أنا أزيده زيادة: جعلت فيه الزيادة. واستزدته: طلبت منه الزيادة... وتزيد في كلامه وفعله وتزايد: تكلف الزيادة فيه. وانسان يتزيد في حديثه وكلامه إذا تكلف مجاوزة ما ينبغي"[7].

ويظهر من هذا المعنى اللغوي للزيادة أنها تقتضي أن الأشياء لها قدر معلوم أو حد معين تكون مكتفية به، وليست في حاجة إلى المزيد، كما نلاحظ أن هذا المعنى أي الزيادة قد تكون

إيجابية أو مفيدة، كما قد تكون غير مفيدة، وهذا ما عبر عنه بالتكلف وهذا في حالة عدم الحاجة إليها،(وربما عيبت الزيادة في حروف المعاني من هده الناحية كما سيأتي في بحثنا)

2-3- الزيادة اصطلاحا:

في البداية ينبغي التفريق بين نوعين من الزيادة في هذا المجال؛زيادة تتعلق بالجانب الصرفي أو ما يعرف بحروف الزيادة... (وهذه لا تعنينا في بحثنا).

أما الزيادة التي تعنينا هنا هي المتعلقة بحروف المعاني، وقد ورد عند النحاة واللغويين كلام في شأنها، ولكنهم لم يعرفوها تعريفا دقيقا، بل تحدثوا عنها وبينوا مواضعها وأغراضها، كما أنهم اختلفوا بشأنها، وسنستعرض طرفا من أقوالهم حتى نصوغ تعريفا للزيادة موضوع البحث. يقول سيبويه (ت 180ه) في معرض حديثه عن حرف الجر (مِنْ): " وقد تدخل في موضع لو تدخل فيه كان الكلام مستقيما ولكنها بمنزلة إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة، وذلك كقولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد. ولو أخرجت (منْ) كان الكلام حسنا..."[8]،وكلام سيبويه واضح الدلالة في أن الزيادة هنا لا تقتضي تغييرا في الكلام، وهذا يعني أنها حتى مع عدم وجودها يكون سليما مستقيما، ويقول في موضع آخر يقول:" وقد تكون باء الإضافة بمزلتها في التوكيد، وذلك كقولك: ما زيد منطلق ولست بذاهب، أراد أن يكون مؤكدا حيث نفى الانطلاق والذهاب. وكذلك كفى بالشيب، لو ألقى الباء استقام الكلام "[9]،من خلال هذا الكلام أيضا يتأكد المعنى السابق الذي رمى إليه سيبويه وهو أن زيادة هذه الحروف لا يؤثر في أصل المعنى، ولا في إعرابه أي أنه يظل على استقامته، وأضاف شيئا آخر هو بمثابة الغرض أو الغاية من زيادة هده الحروف وهو التوكيد.

ويكاد يجمع النحويون وعلى رأسهم سيبويه (ت180ه) على زيادة هذه الحروف وعلى أن الكلام من دونها باق على استقامته، مع اختلافهم في التسميات التي يطلقونها عليها،يقول ابن يعيش(ت643ه) في بيان ذلك: "الزيادة والإلغاء من عبارات البصريين والصلة والحشو من عبارات الكوفيين، ونعني بالزائد أن يكون خروجه كدخوله من غير إحداث معنى،وجملة الحروف التي تزاد هي هذه الستة"[10]، ومما يؤكد زيادة هذه الحروف أنها تسمى حشوا وصلة ولغوا، وقد ذكر السيوطي(ت911ه) جملة من الآراء في هذه التسميات، يقول: "ومنهم من يقول: زائدة، ومنهم من يقول: لغو ومنهم يقول: توكيد ... وقال ابن الحاجب: حروف الزيادة

سميت حروف الصلة لأنها يتوصل بها إلى زِنَةٍ أو إعراب لم يكن عند حذفها ... ومعناه أنه حرف يصل به كلامه، وليس بركن في الجملة ولا في استقلال المعنى"[11].

ومما تقدم من كلام النحاة يظهر أن الزيادة ظاهرة لغوية لا يمكن نكرانها فهي موجودة في الكلام شعره ونثره وأيضا في القرآن الكريم، وأنها تعني استخدام حروف المعاني هذه في الكلام وإدخاله فيه دون أن يكون المعنى الأصلي محتاجا إليها، وخلوه منها لا يؤثر في استقامته ولا يؤدي إلى فساده. والغرض من زيادتها- غالبا- هو التوكيد كما عند أغلبالنحاة،وإن كان هناك من النحاة والبلاغيين والمفسرين من يرىأغراضا أخرى من استخدامها، (كما سنرى ذلك في المباحث المقبلة من هذا البحث)، ومع هذا العدد الكبير من النحاة الذين يرون وجود الزيادة في حروف معينة إلا أن هناك بعض الآراء التي تنكر زيادتها، من ذلك ما ذكره الزركشي في البرهان(ت794هـ) "قد اختلف في وقوع الزائد في القرآن، فمنهم من أنكره، قال الطرطوسي: زعم المبرد وثعلب أن لا صلة (زيادة) في القرآن والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات في القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لا يسعنا إنكاره، وقال ابن الخباز، وعند ابن السراج أنه ليس في كلام العرب زائد، لأنه تكلم بغير فائدة، وما جاء منه حمله على التوكيد"[12]. وما يلاحظ على هؤلاء الذين يرفضون الزيادة أنهم أولا يرفضونها في القرآن بشكل خاص، وثانيا أنهم يقولون إذا وقعت فإنها للتوكيد أو لغرض آخر، وذلك اعتراف منهم بأنها استخدمت زائدة، ولا يسع المرء نكران ذلك. وسنرى لاحقا أن الموضوع وقع فيه لَبْس وسوء فهم سببه المصطلح ذاته أي الزيادة والذي يبعث على الريبة والشك من حيث أن فيه اتهاما بالقصور ومجانبة البلاغة وما تقتضيه من بعد عن هذه العيوب..

3- 3- الحروف الزائدة:

بدايةً يجدر القول إن هذه الحروف معدودة ولا تتجاوز في أقصى تقدير عشرة حروف، وعددها نفسه مختلف فيه، كما أن القول بأنها زائدة لا يعني أنها ملازمة للزيادة، بل ذلك أمر طارئ فيها " بمعنى أنها تأتي في بعض الموارد زائدة لا أنها ملازمة للزيادة "[13]،لذلك فهي محل خلاف بين النحاة و اللغويين والبلاغيين، وهناك مسألة أخرى وهي أن الحرف الواحد قد يكون عند أحد النحاة زائدا وعند آخر غير زائد، كما أنهم اختلفوا في عددها.

جاء في (شرح المفصل) لابن يعيش عن حروف الزيادة " قال صاحب الكتاب (يقصد سيبويه) وهي إن وأن وما ولا ومن والباء..."[14]،فهي ستة بحسب هذا النص وذكر السيوطي أنها سبعة بإضافة اللام " حروف الزيادة سبعة: إِنْ، وأَنْ، ولا، وما، ومِنْ، والباء، واللام"[15].

ومن الشواهد التي تذكر لزيادة هذه الحروف- وهي كثيرة مبثوثة في كتب النحاة والبلاغيين والمفسرين- :

إِنْ: تزاد بعد لا النافية في الأغلب

حَلَفْتُ لهَا بِاللهِ حَلْفَةَ فاجِرٍ لَنامُوا فما إِنْ من حديثٍ ولَا وِصالُ

أي فما من حديث فزاد (إنْ) للتوكيد، وقوله تعالى: ((لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ))[16]

أَنْ: تزاد بعد لما الظرفية، كقولنا: لما أن جاء أكرمته، أصل الكلام: لما جاء أكرمته، وأما والله أن لو قمتَ لقمتُ، بزيادة أن، وفي القرآن الكريم ((ولَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ))[17]، ونظائر ذلك كثير في القرآن وفي غيره.

مَا: تزاد غالبا بعد حروف الجر: (مِنْ، الباء، عن، الكاف ورُبَّ) وبعد أداة الشرط، وفي مواضع أخرى، " وقد تكون كافة أو غير كافة، غضبتَ من عير ما جرم، ((مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ)) ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقِهِمْ))، ((وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ)) ،((أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ))، ((وإذا ما أنزلت سورة)) ((مِثْلَمَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ))، ((إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)) إنما زيد منطلق، ((إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ))، ((أيما تدعوا))، ((فإما ينزغنك))، ((أينما تكونوا))"[18] وغير ذلك كثير في القرآن وفي الشعر وفي غيرهما.

لا:"تزاد بعد الواو بعد النفي ما جاءني زيد ولا عمرو، ((وَمَا كَانَ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا))، ((وَلَا تَسْتَوِي السَّيِّئَةُ وَلَا الْحَسَنَةُ)) وبعد أن المصدرية ، ((لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ)) أي: لأن يعلم أهل الكتاب، وفي القسم ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ)) أي أقسم بمواقع النجوم، وتزاد في تأكيد النفي ((مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ))"[19].

مِنْ:" وتزاد بعد النفي ونحوه كالاستفهام، بل وتزاد في الإيجاب أيضا،ما جاءني اليوم من أحد، ((ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا))، ((مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وما كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ))، ((يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنوبكم)) ، ((مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ))، ((هَلْ مِنْ خالق غير الله))، ((هَلْ مِنْ مَزِيد))"[20].

الباء: "تزاد في الفاعل نحو ((كَفَى بِاللهِ شَهِيدا))، ((كَفَى بِنَا حَاسِبِين)) وتقع في المفعول ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلةِ))، ((أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى))، وتقع في المبتدأ ((بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ))، وفي الخبر ((جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا)) وفي خبر ليس ((أَلَيْسَ اللهَ بِكَافٍ عَبْدَه)) "[21].

اللام: " تزاد معترضة بين الفعل ومفعوله نحو: ((أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِين))، ((وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَمِنَ الْمُسْلِمِين))، وتزاد لتقوية العامل نحو: ((هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُون))، ((إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُون)) ((مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ)) ، ((فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ))..."[22]

وأورد ابن هشام(761ه) حروفا أخرى تكون زائدة فضلا عن هذه المذكورة وهي: (أم وأَلْ و إِلَّاوالكاف)؛ يقول عن زيادة أم " تقع زائدة، ذكره أبوزيد، وقال في قوله تعالى: ((أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْر))، والتقدير أفلا تبصرون أنا خير، والزيادة ظاهرة في قول الشاعر:

يا لَيْتَ شِعري، ولا مَنْجَى من الهَرَمِ أَمْ هَلْ على العَيْشِ بعد الهرمِ مِنْ نَدَمِ"[23]

ويقول عن (أل)"و أن تكون زائدة، وهي لازمة وغير لازمة ..." ثم ذكر تفاصيل عنها كمواضع زيادتها وشروطها والاختلاف بشأنها.

ويقول عن (إلا): " ... أن زائدة قاله الأصمعي وابن جني، وحملا عليه قوله:

حَراجيجُ ما تنفكُّ إلا مناخةً على الخَسْفِ أو نرمي بها بلدا قَفْرَا "[24]

ويقول عن (الكاف) بعد أن ذكر معانيها ومنها التوكيد: " ... وهي الزائدة نحو ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) "[25]، وقد ذكر فيما الخلاف الحاصل بين النحاة وغيرهم في زيادتها.

4- الرأي النحوي في زيادة هذه الحروف:

يُجمع أغلب النحاة- كما سبقت الإشارة- على زيادة هذه الحروف، ومعنى ذلك أنه عندمايتعلق الأمر بمجالهم وفهم وهو علم النحو، والذي يبحث في صحة التراكيب واستقامة الكلام فغايتهم كانت الدلالة على القواعد والأصول التي وجب اتباعها حتى يستقيم الكلام وينسجم مع ما تكلمت به العرب؛ لذلك فإن مصطلحاتهم تجري دائما على هذا المنوال، وبالتالي فإن وصفهم هذه الحروف بالزائدة أتى من مراعاتهم لهذه المعايير.

والقائلون بزيادة حروف المعاني هذه نحاة كُثُر وهم من البصريين والكوفيين ومن غيرهم كذلك، معم ملاحظة اختلاف مصطلحاتهم في ذلك؛ فعلى سبيل المثال البصريون يسمونها

الزائدة أو اللغو أحيانا، أما الكوفيون فيسموها حروف الصلة او الحشو، إلا أن المدلول واحد.

1.4- رأي سيبويه (ت180ه):

نجد في مقدمة النحاة القائلين بالزيادة إمامُهم سيبويه، وقد تطرق إلى ذلك في عديد المواضع من ذلك قوله عن (إنْ): " وتكون لغوا في قولك: ما إن يفعل. وقول الشاعر:

وما (إنْ) طِبُّنا جُبْن ولكن مَنَايَانَا ودَولةُ آخَرِينَا "[26]

فإنه في المثالين السابقين قال عنها إنهما لغو ويقصد أنها زائدة يمكن إسقاطها دون أن يختل الكلام أو يصاب معناه الاصلي بالنقص، أو أنها لا أثر لها في الإعراب، ويقول عن (ما)أيضا " وتكون توكيدا لغوا، وذلك في قولك: غضبت من غير (ما)جرم. وقال الله عز وجل: ((فبما نقضهم ميثاقهم)) وهي لغو في أنها لم تحدث إذ جاءت شيئا لم يكن قيل أن تجيء من العمل، وهي توكيد للكلام"[27]، ويقول عن(لا) " وأما (لا) فتكون كما في التوكيد واللغو ، قال الله عز زجل: ((لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ)) أي لأن يعلم ..."[28] ويقول عن (أَنْ) " وتكون توكيدا أيضا في قولك: لما أَنْ فعل..."[29]،ويقول عن حرف الجر (مِن) " وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما ولكنها توكيد بمنزلة ما، إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة، وذلك قولك: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد. ولو أخرجت (منْ) كان الكلام حسنا"[30]، وقال عن حرف الجر (الباء) " وقد تكون باء الإضافة بمنزلتها في التوكيد، وذلك قولك: ما زيد بمنطلق، ولست بذاهب، أراد أن يكون مؤكدا حيث نفى الانطلاق والذهاب، وكذلك (كفى بالشيب) لو ألقى الباء استقام الكلام"[31].

يتبين بوضوح من هذه العبارات لسيبويه أنه يرى زيادة هذه الحروف بل ويقول عنها أحيانا إنها لَغْو، ومعنى ذلك أن إسقاطها من التركيب لا يفسد المعنى الأصلي، كما أن بعضها وهي: (ما ولا وأنْ إنْ) لا أثر لها من ناحية الإعراب أيضا، وهذا بالضبط مراده من قوله إنها لَغْو، وليس المراد بذلك أنها لا قيمة أو لا فائدة لها مطلقا في الكلام، ودليل ذلك بيانه لسبب ورودها وهو أنها للتوكيد، بل وأنه أحيانا يطلق عيها اسم التوكيد فيقول كما مر معنا (تكون توكيدا)، فسيبويه اعتمد المعيار النحوي في دراسته لهذه الحروف ووجد الغاية من إقحامها في الكلام وهي التوكيد، وما يفهم من أقواله أن هذه الحروف تَطَلَّبَ وجودَها في

الكلام غاية أخرى إضافية ليست من صميم ما يتطلبه النحو أو يفرضه الإعراب، فمن غيرها يكون المعنى مستقيما في حده الأدنى، والإعراب باق على حاله كأن لم تكن هذه الحروف في الجملة. وهذا الفكرة عن حروف الزيادة عند سيبويه هي نفسها -تقريبا- عند النحاة من بعده مع بعض التفاصيل، وقليل من الاختلاف يتعلق بشكل خاص بمواضع هذه الحروف بالأمثلة التي يقدمونها عنها، أما جوهر الفكرة فلا جديد فيها عندهم، إلا أن هذا لا يعني أنه لا يوجد خلاف مع سيبويه في بعض المواضع وبعض الشواهد وهذه الاختلافاتمنها يتعلق برفض أن تكون بعض هده الحروف زائدة أو على أقل تقدير هي غير زائدةفي نصوص معينة يراها هو زائدة فيها، كما عند المبرد(286ه)

2-4- رأي الفراء(ت207ه):

ومن القائلين بزيادة هذه الحروف أو بعضها النحوي الشهير الفراء (يحي بن زياد)، وهو من نحاة المدرسة الكوفية، ومصطلحاته في هذا الشأن أي في زيادة الحروف هي: (الصِّلة) وربما استعمل مصطلحات أخرى(النزع والسقوط والاستغناء)، ويستعمل مصطلح الزيادة أيضا مع أنه كوفي المذهب- كما أسلفنا - وقد تطرق في كتابه (معاني القرآن) إلى زيادة هذه الحروف وبالأحرى بعضها؛ إذ نراه يمر على بعض الآيات التي تشتمل على حروف زائدة كما نص على ذلك أغلب النحاة إلا أنه لا يعلق على ذلك، ربما لا يرى زيادتها ولكنه أيضا لا يقول بعكس ذلك.

ومن الأمثلة التي أوردها في زيادة (ما) " قوله: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ))، العرب تجعل ما صلة في المعرفة والنكرة واحدا. قال الله ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ)) والمعنى فبنقضهم، و((عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِين)) والمعنى: عن قليل"[32].

ويقول في زيادة (لا): "يقول: ((وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِذَا جَاءَتْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُون)) و (لا) في هذا الموضع صِلَةٌ، كقوله: ((وحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُون)) المعنى: حرام عليهم أن يرجعوا. ومثله: ((مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ)) معناه: أن تسجد"[33]، فهو يرى زيادة هذين الحرفين وإن كان يستخدم مصطلح (صلة) الخاص بالكوفيين إلا أنهم لم يوضح المراد من الصلة، أما شرحه فهو يكشف أن معناها هو الزيادة لأنه يقوم بإسقاطها وبذلك يتبين معنى العبارة التي دخلها هذا الحرف، وهو أيضا لم يبين دور هذه الحروف أو وظيفتها في الكلام على

عكس سيبويه والبصريين عموما الذين يقولون بوظيفتها التوكيدية، ولعل معنى الصلة – وإن لم يذكره – هو المقصود، وفي هذا المعنى يقول السيوطي: " وقال ابن الحاجب في شرح المفصل: حروف الزيادة سميت حروف الصلة لأنها يتوصل بها إلى زنة أو إعراب لم يكن حذفها. وقال الأندلسي في شرح المفصل: أكثر ما تقع الصلة في ألفاظ الكوفيين، ومعناه أنه حرف يصل به الكلام، وليس بركن في الجملة ولا في استقلال المعنى"[34].

والقائلون بالزيادة على هذا النحو من النحاة بشكل خاص ومن غيرهم أيضا عدد كبير، وأكثر من أن يُحصوا، وبديهي ألا نتمكن في هذه البحث من إيراد كل الآراء والأقوال لأن المقام لا يتسع أولا، ثم لأن من أتى بعد هؤلاء الثلاثة من النحاة لم يخرجوا عموما عن محتوى ما قالوه، وأيضا إن موضوع الحروف الزائدة صار موضوعا شائعا متداولا في كتب النحو، وكثيرا ما يتم التطرق إليه في كتب اللغة والتفسير.

3-4- رأي الأخفش(ت215هـ):

ومن النحاة القائلين بالزيادة الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة)، وقد تعرض لهذه الحروف في مواضع عديدة من كتابه (معاني القرآن)، من ذلك قوله عن (ما): " ((فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُون)) وتفسيره: فقليلا يؤمنون، وما زائدة كما قال ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ))، يقول: فبرحمة من الله، وقال: ((إِنّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُون))، أي: لَحَقٌّ مثل أنكم تنطقون"[35]، وزيادة (ما)في القرآن الكريم وفي سائر الكلام على هذا المنوال ترد بكثرة.

ويقول في زيادة (لا): " وقال ((وَلَا تَسْتَوِي السَّيِّئَةُ وَلَا الْحَسَنَةُ)) ... وتقول: لا يستوي عبدالله ولا زيد إذا أردت لا يستوي عبدالله وزيد لأنهما جميعا لا يستويان، وإن شئت قلت: (إنْ) الثانية زائدة، تريد لا يستوي عبدالله وزيد فزيدت (لا) توكيدا، كما قال: ((لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ)) أي: لأن يعلم، وكما قال ((لَا أُقْسِمُ بِيَومِ الْقِيامَةِ)) "[36].

فـ (لا) في هذه المواضع زائدة.

ويقول عن زيادة (إنْ و أنْ): " وتزاد (إن) مع (ما)، يقولون: ما إن كذا وكذا، أي: ما كان كذا وكذا، وما إن هذا زيد، ولكنها تغير (ما) فلا ينصب بها الخبر، وقال الشاعر:

وما (إنْ) طِبُّنا جُبْن ولكنْ مَنايانَا وطُعْمةُ آخَرِينَا[37]

فـ (إنْ) هنا زائدة.

وأما (أن) الخفيفة فتكون زائدة مع (فلما، ولما)، قال: ((فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ))، وإنما هي: فلما جاء البشير، وقال ((ولَمَّاً أَنْ جَاءَتْ رُسُلنَا))، يقول: ولما جاءت رسلنا. وتزاد أيضا مع لو، يقولون: أن لو جئتني كان خيرا لك، يقول: لو جئتني"[38]، فـ (أن) في هذا زائدة.

ويقول عن زيادة الباء: "وقال: ((ولَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ))، يقول: إلى الهلكة، والباء زائدة نحو زيادتها في قوله: ((تُنْبِتُ بالدُّهْنِ))، وإنما هي: تنبت الدهن، ويقول أيضا: "قال: ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقِهِمْ))،فـ (ما) زائدة كأنه قال: فبنقضهم، و ((بِكُفْرِهُمْ)) و((وبِقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيمَ))"[39]، فالباء في هذه المواضع كلها زائدة.

ويقول عن زيادة (مِنْ): " وقال: ((أَنِّي لَا أُضَيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى))، أي فاستجاب بأني لا أضيع عمل عامل منكم، أدخل فيه (من) زائدة، كما تقول: قد كان من حديث و (من) ههنا أحسن لأن حرف النفي قد دخل في قوله ((لا أضيع)) "[40]، ويقول أيضا في زيادتها " وأما قوله ((يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُمِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا)) فدخلت فيه (مِنْ) كنحو ما تقول في الكلام: أهل البصرة يأكلون من البر والشعير، وتقولذهبت فأصبت من الطعام، تريد شيئا ولم تذكر الشيء..."[41]،كما رأينا فإن الأخفش يرى زيادة هذه الحروف كغيره من النحاة البصريين، ولكنه يختلف عن سيبويه وغيره من النحاة البصريين -على الرغم أنها بصري- في بعض المسائل كتلك الشروط التي يضعونها للقول بزيادة هذه الحروف، من ذلك مثلا أنهم يشترطون في زيادة (مِن) أن تسبق بنفي أو استفهام أو نهي، في حين أنه لا يرى هذه الشروط إذ يجيز زيادتها في الايجاب والإثبات " فإن قلت فإنما يكون هذا في النفي والاستفهام، فقد جاء في غير ذلك، قال: ((وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ))، فهذا ليس باستفهام ولا نفي"[42].وانفراد الأخفش بهذه الآراء جعل كثيرا من النحاة واللغويين والمفسرين يرون رأيه في كثير من قضايا هذه الحروف الزائدة حتى وإن لم يكونوا على مذهبه ومدرسته.

5- الرأي البلاغي في حروف الزيادة:

الرأي البلاغي يخص تلك الآراء التي تجاوزت الرؤية النحوية إلى هذه الحروف التي عرفت بالزائدة، وهذه الآراء موجودة في كتب لغوية وفي كتب التفسير بشكل خاص، ونشير إلى أنه رغم تلك الأبعاد البلاغية لاستخدام هذه الحروف إلا أنه لم توضع كمبحث في كتب البلاغة

أو عُولجتْ بوصفها مسألة من مسائلها كالتقديم والتأخير والقصر والحذف وغيرها.مبدئيا لا يمكن أن نتصور أية فائدة بلاغية أو قيمة فنية لكلمة أو عبارة إذا اعتبرنا أنها زائدة أو حشو،بمعنى أن دخولها كخروجها وأنها غير مؤثرة بأي حال من الأحوال أو أنها عديمة المعنى مطلقا،فهذا التصورغير وارد وغير منطقي البَتَّةَ، ولم يقل به أحد من النحاة أو اللغويين.إن هذه الإشكالية قد فرضت مصطلح الزيادة، أو ما كان في معناه من مصطلحات، هذا المصطلح الذي اجترحه النحاة قديما ووصفوا به بعضا من حروف المعاني في استخدامات محددة وفي سياقات معينة أيضا، الأمر الذي جعلطائفة من العلماء والمفسرين يرفضون هذا الوصف وأخذوا يقدمون تفسيرات وتخريجات من أجل الخروج من هذه الإشكالية خاصة أن الموضوع يمس بالقرآن الكريم؛ فهذه الحروف وردت فيه بشكل لافت. ولقد أوضحنا فيما سلف أن الزيادة المقصودة ليست بالمعنى السلبي الذي يجرد هذه الحروف من أي معنى أو فائدة، بل العكس هو الصحيح حتى من الناحية النحوية فضلا عن الناحية البلاغية.

وغرضنافي هذا البحث أن نكشف عن تلك المعاني والدلالات التي تتضمنها هذه الحروف وعن وظيفتها البلاغية وبعبارة أخرى عن تلك الإضافة الفنية التي تقدمها للتعبير وبغيرها يفقد كثيرا من مقوماته الفنية والجمالية. وللإشارة فإن بداية هذه الفائدة من زيادة هذه الحروفومنطلقها نجده عند النحاة أنفسهم حينما قالوا إن هذه الحروف قد وظفت أساسا للتوكيد وتقوية المعنى.

1-5- رأي ابن سنان الخفاجي(ت466ه):

يقدم ابن سنان رأيه في زيادة (ما)، فيقول معقبا عنها في الآيتين: " ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ)) وقوله: ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ))، فإن لها تأثيرا في حسن النظم وتمكينا للكلام في النفس، وبعدا به عن الألفاظ المبتذلة، فعلى هذا لا يكون حشوا بلا فائدة."[43]،فكما نرى فإن ابن سنان يبين القيمة البلاغية لـ(ما) الزائدة في هاتين الآيتين وتتمثل في أنها تعطي الكلام جمالا وجودة في نظمه وشكله، ومن ثمة يتمكن من النفس ويصل معناه إلى المتلقي، ولا شك أنه بذلك يكشف فائدة جديدة لـ (ما) هنا،وقد قدم هذه الفائدة على فائدة التوكيد المقررة لهذه الحروف، ثم يقول: "وأهل النحو يقولون: إن (ما) صلة مؤكدة

للكلام"[44]؛ فهو هنا يؤكد الفائدة من الزيادة التي سبق وأن نبها عليها النحاة في معرض حديثهم عن هذه الأحرف وفي مقدمتهم سيبويه.

2-5- عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ):

تطرق الجرجانيإلى حروف الزيادةفي آخر فصل من كتابه (أسرار البلاغة) وهو الذي عنونه بفصل: في الحذف والزيادة وهل هما من المجاز أم لا؟

وقد قرر قاعدة في البداية في المجاز وهي أن الكلمة توصف بالمجاز إذا نقلت عن معناها إلى معنى اخر، وكذلك إذا نقلت من حكم كان لها إلى حكم ليس لها في الحقيقة، ويقصد بالحكم هنا الحكم الإعرابي من رفع ونصب وجر " ومثال لك: أن المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو: ((وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ)) والأصل : واسأل القرية فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر والنصب مجاز"[45]. وما يقال في الحذف يقال عن الزيادة ومن ذلك زيادة بعض الأحرف في اللغة العربية؛ فإذا كان لهذه الأحرف دور في تغيير المعنى أو تغيير الحكم فهي من أسباب المجاز وأدواته وإلا فلا، يقول: " وإذا صح امتناع أن يكون مجرد الحذف مجازا ... دون أن يحدث بسبب ذلك الحذف تغير حكم على وجه من الوجوه علمت منه أن الزيادة في هذه القضية كالحذف"[46]؛ فكما أن ليس كل حذف لا يؤدي إلى المجاز كذلك ليست كل زيادة تؤدي إلى تحقيق المجاز. ومن هذا المنطلق ناقش عبد القاهر موضوع حروف الزيادة فما أدى من هذه الحروف إلى تغيير في المعنى والحكم فهي من أسباب المجاز وإذا لم تؤد إلى ذلك فليست منه؛ وبالتالي فهذه الحروف ليست سواء؛ فمثلا " لا يجوز أن يقال: إن زيادة (ما) في نحو ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مَنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ)) مجاز أو أن جملة الكلام تصير مجازا من أجل زيادته"[47].

أما الحرف الزائد في قوله تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)) فهو أدى إلى تغيير الحكم وبالتالي تحقق بسببه المجاز في العبارة "إن الجر في (المثل) مجاز، لأن أصله النصب، والجر حكم عرض من أجل زيادة الكاف))"[48]، إلا أن عبد القاهر بعد ذلك يعود ويؤكد أن الحرف حتى إذا لم يؤد إلى تغيير الحكم فقد يكون مجازا،وذلك إذا كان هناك نقل لمعنى إلى معنى آخر مثل ما قيل عن زيادة (ما) بأنها للتوكيد "حتى قالوا: إن (ما) في نحو: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ)) تفيد التوكيد، فأنا أقول: إن كون (ما) تأكيدا نقل لها عن أصلها ومجاز فيها"[49]، ولكنه

يضيف لكي يخرج من هذا الإشكال إلى القول بأن الحرف إذا كان له فائدة أو معنى لا يمكن وصفه بالزائد. بل إنه يقول إن الحرف قد يكون زائدا من جهة وغير زائد من جهة أخرى، وهذا الأمر تحدث عنه في معرض تطرقه إلى الحرف (لا) " وكذلك توصف (لا) في قولنا: مررت برجل لا طويل ولا قصير، بأنها مزيدة ولكن على هذا الحد فيقال: هي مزيدة غير معتد بها من حيث الإعراب، ومعتد بها من حيث أوجبت نفي الطول والقصر عن الرجل، ولولاها لكانا ثابتين"[50].

وفي لفتة هامة من عبد القاهر قوله إن الحرف أحيانا يجب أن يحكم عليه بالزيادة لأنه إذا حكم له بأنه أصلي أدى ذلك إلى إفساد النظام النحوي وارتكاب أشنع الأخطاء؛ فعلى سبيل المثال في عبارة: (فحسبك أن تفعل) إذا قلنا: إن الباء غير زائدة لزم أن يدخل حرف الجر على المبتدأ لأن أصل العبارة هو: حسبك أن تفعل، وهذا لا يصح في قواعد اللغة العربية، وفي عبارة: كفى بزيد، إذا قلنا: إن الباء غير زائدة لزم أن يدخل حرف الجر على الفاعل وهذا أيضا لا يصح.

ومجمل القول في رأي عبد القاهر بشأن الحروف الزائدة هو أن قيمتها تتمثل في ما تحدثه من مجاز يرفع الكلام من الناحية البلاغية، وفي ما تضيفه من معان ودلالات يزداد بها الكلام قوة ودقة، وهذا يتحقق -بحسب رأيه-لأن هذه الحروف نُقلت عن معناها الأصلي لتفيد معاني جديدة في الكلام،ولا يهم بعد ذلك أن توصف بالزائدة أو لا توصف بذلك.

2-5- رأي الزمخشري(ت538ه):

الزمخشري من البلاغيين والمفسرين الذين تعرضوا لهذه الحروف وأقروا بزيادتها، وقد تطرق إليها في مواضع مختلفة من تفسيره بحسب الآيات التي وردت فيها لأنه يقوم بتفسيرها، وهو بشكل عام يرى أن هذه الحروف تأتي لتوكيد المعنى إلا أنه يضيف دلالات أخرى يستنبطها من السياق الذي وردت فيه، من ذلك مثلا تعقيبه على زيادة ما في قوله تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ))، يقول: " ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم لم يكن إلا برحمة من الله، ونحوه: ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ)) "[51].

وفي زيادة الحرف (لا) يقول: " ((ألا تسجد)) (لا) في أن لا تسجد صلة (يقصد زائدة) بدليل قوله: ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي)) ومثلها ((لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ)) بمعنى:

ليعلم، فإن قلتَ ما فائدة زيادتها؟ قلتُ: توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه، كأن قيل ليتحقق علم أهل الكتاب"[52]؛ فهو كما نرى يؤكد الفائدة الأساسية التي قال بها النحاة في هذه الحروف ويحاول استنباط معاني أخرى يمكن استخلاصها من الآيات وسياقاتها. وفي زيادة (اللام) يقول تعقيبا على ذلك: "...((وَأَنْصَحُلَكُمْ))، يقال: نصحته ونصحت له، وفي زيادة (اللام) مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير" [53].

منالواضح أن الزمخشري يفسر زيادة هذه الحروف انطلاقا من السياقات التي وردت فيها، ويثبت أن أية زيادة في اللفظ أو الشكل حتما ستترتب عنها زيادة في المعنى أو بعبارة أخرى ليس هناك زيادة محضة أو زيادة دون معنى إضافي تحققه للكلام فوق معناه الأصلي، وهذا تحديدا هو البعد البلاغي لزيادة هذه الحروف.

5-4- رأي ضياء الدين بن الأثير(ت637هـ):

تناول ابن الأثير موضوع الزيادة في كتابه (المثل السائر)، وقد أنكر تلك الزيادة التي تعني أن خروج الحرف كدخوله، أي تلك التي تفترض أن هذا الحرف وجوده في الكلام كعدمه، ويصرح بأن وجود هذه الحروف هو لغاية تدخل في فصاحة الكلام وبلاغته، وهو أيضا يرفض أن يكون للنحاة رأي أو علم في هذا الشأن، لذلك نراه يلتمس لهذه الحروف معاني ودلالات تجعلها ذات قيمة بلاغية عالية، يقول:" النحاة لا فُتْيَا لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة ولا عندهم معرفة بأسرارها من حيث أنهم نحاة "[54]، فهو يرى بأن الخوض في هذا الميدان ليس من شأن النحاة ولا النحو أصلا لأنها مسألة تتعلق بأسرار ودقائق ينبغي البحث والتنقيب عنها، وهو يقول بهذه الرأي أثناء مناقشته للقول بزيادة (أَنْ) في قوله تعالى: ((فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عُدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْتَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ))[55]، حيث أكد أنها كررت مرتين لغرض بلاغي قصده القرآن وفيه "دليل على أن موسى – عليه السلام – لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول، بل كان عنه إبطاء في بسط يده إلى الثاني، فعبر القرآن عن ذلك في قوله تعالى ((فلما أن أراد أن يبطش)) "[56].

ومن غير شك فإن ابن الأثير قد أصاب في بيان السر في زيادة (أنْ) في هذه الآية وهو هذه اللطيفة البلاغية الدقيقة التي تكشف عن دقة القرآن وبلاغته، إلا أنه يُلاحَظ أن ابن الأثير قد جَارَ على النحاة حينما زعم أنهم يقولون بزيادة هذه الحروف دون فائدة أو معنى مطلقا، وهذا طبعا ليس قصدهم من هذا المصطلح، والأمر الثاني أنه عَدَّ (أنْ) بعد (لَمَّا) من باب التكرار، أي أنها كُرِّرتْ، لكن الإشكالفي أنَّ (أنْ) هذه أي الزائدة قد سبقت (أنْ) الأصلية التي دخلت على الفعل (أن أراد)، فهل يجوز أن تؤكدهاوفي الوقت نفسه تأتي قبلها؟

وفي موضع آخر تناول الحرف (ما) الموصوفة بالزيادة في قوله تعالى: ((فبما رحمة من الله لنت لهم))[57]،وفي ذلك يرى خطأ من يقول بزيادتها لغير فائدة، ولا شك أنه مصيب في ذلك لكن هل هناك من قال بذلك؟ قطعا لا أحد، لا من النحاة ولا من غيرهم، الإشكال كله آتٍ من لفظة الزيادة نفسها في كونها توحي بانعدام الفائدة. ويقول عن (ما) في هذه الآية: "فإن لفظة (ما) ههنا غير خالية من المعنى لأنها تعطي من الفخامة الفصاحة والجزالة ما لا تعطي الآية عند فقدها... وهذا شيء لا يعرفه إلا أهله"[58].

وهو بهذا يكشف عن البعد البلاغي لاستخدام هذه الحروف، وقد سبق أن أشار ابن سنان الخفاجي إلى معنى قريب مما أشار إليه ابن الأثيرفيما يتعلقبدلالات هذه الحروف وأسرارها، ومما يلاحظأن ابن الأثير- وهو ينبه إلى هذا الجانب الجمالي في استخدام مثل هذه الحروف- لم يعلل أحكامه المتعلقة بالفخامة والفصاحة والجزالة التي يكتسبها الكلام بفضل زيادة هذه الحروف، إلا أن له عبارة عميقة تشفع له وهي: (هذا شيء لا يعرفه إلا أهله)، وهو بذلك يكشف مدى أهمية الذوق وكذلك الخبرة الفنية في الحكم على فصاحة الكلام وبلاغته.

5-5- رأي مصطفى صادق الرافعي(1880-1937):

يعد الرافعي من القلائل من المحدثين الذين تطرقوا إلى موضوع الحروف الزائدة وكان لهم رأي متميز فيها؛ إذ إن المحدثين عموما قد ساروا في هذا الموضوع على نهج القدماء. ناقش الرافعي هذه المسألة في معرض حديثه عن تلك الملاءمة التي نجدها بين الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم وذلك التناسب البديع الذي يشعر القارئ بعظمة القرآن وإعجازه. وقد جره ذلك إلى الحديث عن الحروف الزائدة حيث أشار إلى هذه الفكرة المقررة عند النحاة، لكنه

قال عن هذه الزيادة إنها في الإعراب وليست في النظم، لأن فيها معنى لو تأمله القارئ لوجد بأن حذفها لا يصح؛ كما أن فيها لونا من التصوير الفني إذ من غيرها يفقد الكلام كثيرا من حسنه وروعته، يقول معقبا عن زيادة (ما) في الآية ((فبما رحمة من الله لنت لهم)):"فإن المراد بالآية الأولى (أي هذه) تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه وإن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في (ما) وصفا لفظيا يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية لا يبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها (وهو لفظ رحمة) مما يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية كما ترى."[59]؛ فهو كما نلاحظ قد وجد أمرا مختلفا في هذا الحرف وهو أنه صور حالة نفسية أو بالأحرى خلقا لم يكن ليتضح بها الشكل من الوضوح والفخامة لولا وجود هذا الحرف؛ فهذه الزيادة في حقيقة الأمر هي في الإعراب، أما في النظم - وهو شأن بلاغي-فهذا الحرف وجوده ضروري ولا نجده إلا في أعلى الكلام فصاحة وبلاغة.

ويقول عن زيادة (أَنْ) في الآية ((فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا)):" والمراد ... تصوير الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعد ما كان بين يوسف وأبيه عليهما السلام وأن ذلك كأنه كان منتظرا بقلق واضطراب تؤكدهما وتصف الطرب لمقدمه واستقراره غُنَّةُ هذه النون في الكلمة الفاصلة وهي (أن) في قوله (أن جاء)"[60].

فوظيفة (أن) حاسمة في تصوير حالة الانتظار عند يعقوب بل والتشوق والطرب عند مقدم البشير بالقميص،وهو لم يفقد الأمل في رجوع ابنه يوسف، ثم إننا نرى الرافعي يعطي الجانب الصوتي دورا في وصول المعنى وتجسده خاصة حينما أشار إلى أثر الغُنَّة في نون (أن) إذ إنها أكدت تلك الحالة التي تم تصويرها. ويظهر أن ما قاله الرافعي ينسجم مع ما قاله بعض البلاغيين قبله وخاصة ابن سنان الخفاجي وابن الأثير وذلك في التركيز على الجانب البلاغي وتجاوز الجانب النحوي، والجديد عند الرافعي هو التأكيد على الأثر الصوتي للحروف الزائدة في إحداث المعنى وتوجيهه أو توكيده، وهو أمر يتحكم فيه الذوق وتدركه الحاسة الفنية التي دربت على إدراك مواطن الحسن والإبداع في الكلام؛ فلا يكفي الاعتماد

على النحو وقواعده في دراسة هذه الحروف والحكم على زيادتها أو أصالتها، بل لابد من أخذ السياقات البلاغية في الحسبان.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث يجدر بنا أن نقدم خلاصة له، نذكر فيهاأهمالنتائج التي تم التوصل إليها بشأن موضوع الحروف الزائدة في اللغة العربية:

- الحروف الزائدة التي يتناولها البحث هي تلك التي تندرج ضمن حروف المعاني وليست من حروف المباني، أو كما تسمى بحروف المعجم التي تتشكل منها الكلمات؛فهذه تدخل ضمن مباحث علم الصرف وليس من مباحث علم النحو.

- حروف الزيادة هي مجموعة قليلة من حروف المعاني التي تميزت بهذه الخاصية في بعض السياقات اللغوية، وقد اختلفوا في عددها لكنها عموما لا تتعدى العشرة أحرف.

- هذه الزيادة ليست ملازمة لهذه الحروف، بل هي عارضة؛ فهذه الحروف لها معان أصيلة تستخدم فيها ووظائف تؤديها في التراكيب التي توظففيها؛فبالتالي هذه الزيادة طارئة لأغراض معينة يمليها السياق و يتطلبها المقام.

- فكرة الزيادة هي من ابتكار النحاة،وقد استخدموا في التعبير عنها عدة مصطلحات من أشهرها: الزيادة، والصلة، والحشو، وغيرها.

- الزيادة عند النحاة تعني عند النحاة أن هذه الحروف في حال الاستغناء عنها يظل المعنى الأصلي باقيا على تمامه، كما أن الكلام يظل على استقامته أيضا، بالإضافة إلى أن هذه الحروف في أغلبهاغير مؤثرة من الناحية الإعرابية.

- الغاية الأساسية لزيادة هذه الحروف هي التوكيد وتقوية المعنى، ومن النحويين من قال بأنها صِلَةٌ بمعنى أنه تصل الكلام بعضه ببعض وليست من العناصر الضرورية للجملة.

- كان لبعض البلاغيين والمفسرين آراء مختلفة عن آراء النحاة بشأن هذه الحروف؛ ذلك أنهم نظروا إليها من ناحية بلاغة الكلام وفصاحته، فهم - وإن سلموا بزيادتها- إلاأنهم قدموا لها قراءاتبلاغية استنتجوها من التراكيب التي وردت فيها، وهي في مجملها تتعلق بمعايير بالفصاحة والبلاغة،أوالتعبير عن حالات نفسية وتصويرها، أو إحداث معان إضافية لم

تكن لتكون لولا إدخال هذه الحروف في الكلام، من ذلك أنها تزيد في فصاحة الكلام وفخامته، أو تنقل الكلام من الحقيقة إلى المجاز، أو التعبير عن معان دقيقة قد لا تدرك إلا بالحس الفني والجمالي.

- ومهما بدا من اختلاف بين الرأي النحوي و الرأي البلاغي في هذه المسألة إلا أنه يمكن التوفيق بينهما من خلال وضع كل رأي في سياقه؛ فالرأي النحوي ينسجم مع غاية النحو ووظيفته الذي يبحث في استقامة الكلام وسلامته،وبالتالي فإن وصف هذه الحروف بالزيادة لا يؤثر في ذلك.أما الرأي البلاغي فينشد فصاحة الكلام وبلاغته؛ وبالتالي فهو يحكم بضرورة هذه الحروف وأهميتها في الكلام إلى حد القول بأصالتها من حيث أداؤها لهذه الوظيفة البلاغية.

الهوامش:

[1]- ابن منظور ، جمال الدين (د.ت) لسان العرب ،تح: عبدالله علي الكبير وآخَرَان، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، مصر، باب الحاء، مادة (حرف)، ص 838.

[2]- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين،(2001)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت لبنان ص12.

[3]- المصدر نفسه، ص 12.

[4]- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر،(2004)، المفصل في علم العربية، تح: فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، ط 1، عمان - الأردن، ص 287.

[5]- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، (د.ت)، الأصول في النحو، ج1، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، ص37.

[6]- يُنظر: بودانة طه الأمين، (2018)، حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم، مجلة التعليمية، جامعة الأغواط، الجزائر، المجلد 8، العدد 13، ص 389 وما بعدها

[7]- ابن منظور، لسان العرب، باب الزاي مادة (زيد)، ص1897.

[8]- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (1982)،الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 2، مصر، ص 225.

[9]- المصدر نفسه، ص 225.

[10]- ابن يعيش، موفق الدين يعيش، (د.ت)، شرح المفصل، ج 8، إدارة الطباعة المنيرية بمصر،(د.ط)، مصر، ص 128.

[11]- السيوطي، جلال الدين، (د.ت)، الأشباه والنظائر في النحو، ج1، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، ص 454.

[12]- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، (1990)، البرهان في علوم القرآن، ج3،تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، و آخرَيْن، دار المعرفة ، ط1، بيروت – لبنان، ص 149.

[13]- المصدرنفسه، ص 151.

[14]- ابن يعيش، شرح المفصل،ج8، ص 128.

[15]- السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ص 151.

[16]- الزركشي، البرهان، ج3، ص152.

[17]- سورة العنكبوت، الآية 33.

[18]- الزمخشري، المفصل في علم العربية، ص 318.

[19]- الزركشي، البرهان، ج3، ص 15.

[20]- الزمخشري، المفصل في علم العربية، ص 319.

[21]- الزركشي، البرهان، ج3، ص 158.

[22]- الزمخشري، المفصل في علم العربية، ص 319.

[23]- ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين،(د.ت) مغني اللبيب، ج 1، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت، ص 59.

[24]- المصدر نفسه، ص 62.

[25]- المصدر نفسه، ص 86.

[26]- سيبويه، الكتاب، ج 4، ص220 و221.

[27]- المصدر نفسه، ص211.

[28]- المصدر نفسه، ص 222.

[29]- المصدر نفسه، ص 222.

[30]- المصدر نفسه، ص 225.

[31]-المصدر نفسه، ص 225.

[32]-الفراء، أبو زكرياء يحي بن زياد، (1955)، معاني القرآن، ج1، تح: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب، ط1، القاهرة – مصر، ص 244.

[33]- المصدر نفسه، ص 350.

[34]- السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ص 454

[35]-الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، (1990)، معاني القرآن، ج1، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، القاهرة، ، ص 142.

[36]-المصدر نفسه، ج2، ص 507 و 508.

[37]- المصدر نفسه،ج1، ص 120 و 122.

[38]- المصدر نفسه، ج1، ص 172.

[39]- المصدر نفسه، ج 1، ص 269.

[40]- المصدر نفسه، ج1، ص 240.

[41]- المصدرنفسه، ج1، ص 105.

[42]- المصدرنفسه، ج1، ص 105.

[43]- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد، (1982) سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان، ص 156.

[44]- المصدر نفسه، ص 156.

[45]- الجرجاني، عبد القاهر، (2010)، أسرار البلاغة، دار ابن الجوزي، ط1، القاهرة، مصر، ص 221.

[46]- المصدر نفسه، ص 222.

[47]- المصدر نفسه، ص 222.

[48]- المصدر نفسه، ص222.

[49]- المصدر نفسه، ص 223.

[50]- المصدر نفسه، ص 223.

[51]- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، (2009)، تفسير الكشاف، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط3، بيروت- لبنان، ص 202.

[52]-المصدر نفسه، ص 357.

[53]- المصدر نفسه، ص367.

[54]- ابن الأثير، ضياء الدين، (د.ت)، المثل السائر، القسم الثالث، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانه، دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة- مصر، ص 13.

[55]- سورة القصص، الآية 19.

[56]- ابن الأثير، المثل السائر، القسم الثالث، ص 13.

[57]- سورة الأنبياء، الآية 15.

[58]- ابن الأثير، القسم 4، ص 210 و 211.

[59]- الرافعي، مصطفى صادق، (د.ت)،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب، (د.ط)، الجزائر، ص 231.

[60]- المصدرنفسه، ص 231.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

1- ابن الأثير، ضياء الدين، (د.ت)، المثل السائر، القسم الثالث، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانه، دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة- مصر.

2- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، (د.ت)، الأصول في النحو، ج1، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة (د.ط). بيروت-لبنان.
3- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبدالله بن محمد، (1982) سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت- لبنان.
4- ابن منظور ، جمال الدين (د.ت) لسان العرب ،تح: عبدالله علي الكبير وآخَرَان، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، مصر.
5- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين،(2001)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت لبنان.
6- ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين،(د.ت) مغني اللبيب، ج 1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (د.ط)، بيروت-لبان.
7- ابن يعيش، موفق الدين يعيش، (د.ت)، شرح المفصل، ج 8، إدارة الطباعة المنيرية بمصر،(د.ط)، مصر.
8- بودانة طه الأمين، (2018)، حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم، التعليمية، جامعة الأغواط، الجزائر، المجلد 8، العدد 13، الصفحات (387-401).
9- الجرجاني، عبد القاهر، (2010)، أسرار البلاغة، دار ابن الجوزي، ط1 ، القاهرة، مصر.
10- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، (1990)، معاني القرآن، ج1، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، القاهرة.
11- الرافعي،مصطفى صادق، (د.ت)،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رحاب، (د.ط)، الجزائر.
12- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، (1990)، البرهان في علوم القرآن، ج3،تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، و آخرَيْن، دار المعرفة ، ط1 ، بيروت – لبنان.
13- الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر، (2009)، تفسير الكشاف، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط3، بيروت- لبنان.
14- الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر،(2004)، المفصل في علم العربية، ت: فخر صالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، ط 1، عمان – الأردن.
15- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (1982) ،الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 2، مصر.
16- السيوطي، جلال الدين، (د.ت)، الأشباه والنظائر في النحو، ج1، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، بيروت-لبنان.
17- الفراء، أبوزكرياء يحي بن زياد، (1955)، معاني القرآن، ج1، تح: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، مطبع دار الكتب، ط1، القاهرة – مصر.